العدد (1468) السنة السادسة - الأثنين (30) آذار 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

ملف محافظة ميسان

مدير عام الشركة العامة لصناعة السكر

تدني الانتاج بسبب غياب الدعم الحكومي

◆ صناعة السكر من الصناعات الاستراتيجية ◆ شركات عربية نكلت بعد توقيع العقود فربحوا وخسرنا! ◆

تبعد الشركة العامة لصناعة السكر في ميسان اكثر من عشرين كم عن مركز المدينة، وهي تقع على الشارع المؤدي الى قضاء المجر الكبير. الناظر اليها عن بعد يحسبها مدينة متكاملة، ميزاتها ليست سوى ابنية على هيئة جملونات حديدية، واخرى مراجل لتسخين الماء المضاف الى عصير البنجر. وعند اجتيازنا بوابتها الرئيسية قادنا موظف الاستعلامات الى مكتب المدير العام "عقيل محمد نوري العلاق" الذي رحب بنا وبدأ يشرح تاريخ الشركة، التي تأسست تحت مسمى آخر هو مصلحة سكر القصب، وذلك في عام ١٩٦٧ كمشروع زراعي ـــصناعي من قبل شركة "هاوايان" الامريكية. واختير موقعها في قضاء المجر الكبير لملاءمة الاراضي المحيطة بالمنطقة لزراعة قصب السكر. يشمل الجانب الزراعي استغلال اراض تصل مساحاتها الى (٤٢) الف دونم لزراعة قصب السكر، بعد توفير جميع مستلزماتها من مكننة زراعية ووسائل استصلاح التربة وقنوات الري والبزل ومحطات ضخ مياه الري.

اما الجانب الصناعي فيشمل انشاء معمل لتصنيع السكر من نبات قصب السكر بطاقة (٣٩٠٠ طن قصب/ يوم)وتكرير السكر الخام بطاقة (٤٤٠ طن سكر/ يوم)، ليكون اجمالي طاقة المعمل الانتاجية (١٠٠ ألف طن سكر ابيض/ سنة). تم انجاز جزء من المزرعة، وبوشر بانتاج السكر في حزيران من عام ١٩٧٠. اما مصلحة صنع السكر في الموصل فقد كانت باشراف شركة استشارية بلجيكية وتنفيذ شركة (سايلزكيتر) الالمانية في عام ١٩٥٧ وبوشر بالانتاج عام ١٩٥٩ بطاقة تصميمية قدرها (٨٠٠ طن بنجر / يوم) فضلاً عن تكرير (١٠٠ طن سكر خام / يوم) . وفي عام ١٩٧٠ تم توسيع المعمل باضافة وحدات انتاجية جديدة بأشراف الشركة البلجيكية وتنفيذ شركة بولونية ليصبح الانتاج تصنيع (٢٨٦٠طن بنجر / يوم) وتكرير (٥٠٢ طن سكر خام / يوم)وانتاج (٨٠ طن نورة حية / يوم) وانتاج (١٠ طن / ساعة) من تلف بنجر الجاف "البثل" وخط لاضافة "المولاس" اليه لتحليته وكبسه على شكل اصبعيات علفية. وانشاء معمل (خميرة الخبز وتوسيعه عام ١٩٧٧) لتصبح طاقته الانتاجية (٢٥٤٠ طن خميرة طرية / سنة) اضافة الى (٤٠٠ طن خميرة جافة / سنة). في الوقت الراهن الشركة هي حاصل دمج شركتين (الشركة العامة لصناعة السكر في الموصل والشركة العامة لصناعة السكر في ميسان)، وخلال الحرب العراقية الايرانية توقفت المصانع عن العمل نتيجة زج العاملين وملاكاتها الاخرى بصفوف الجيش وعسكرة الاخرين، ضمن ما كان يسمى بـ (الجيش الشعبي). وتم الاعتماد على استيراد السكر الابيض فقط . فتوقف الانتاج فارتأى المسؤولون انذاك دمج الشركتين ببعضها في نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم .

وفي عام ١٩٩١ بوشر العمل باعمار شركة الموصل في عام ١٩٩١، وميسان في عام ١٩٩٤ ، ولم تكن اعمال الاعمار على قدر من الجودة لافتقارها الى الاسس والسياقات العلمية الحديثة المتسعة مع التطورات التكنلوجية، لأن العراق كان في حالة حصار دولي، لذا جرى الاعتماد على ما موجود في البلد من امكانات هي الاخرى كانت متخلفة عما موجود في البلدان الاخرى سواء بالمعدات او بالخبرات . مصانعنا تعاني قدمها وانتهاء اعمارها التشغيلية ناهيك عن تخلف التكنلوجيا التي كان العراق يستقدمها لافتقادنا الخبرة التي تحدد نوعها. الان الشركة استعادت جزءاً من عافيتها بعد عام ١٩٩٤ فبدأت بزراعة البنجر السكري من خلال التعاقد مع المزارعين. وبالنسبة لمزرعتنا نقوم بكل اعمال الزراعة فيها، وانتجنا كميات لا بأس بها من القصب السكري ، الا ان مصانعنا تشتمل على خطين، الاول لانتاج السكر من المحاصيل التي تزرع في العراق والثاني يعتمد على تكرير السكر الاحمر أو الخام المستورد. لم نستورد أية كمية من السكر الخام منذ بداية النصف الاول لعام ١٩٨٠ وحتى هذه اللحظة، مع اننا تعاقدنا مع شركات عربية الا انها نكلت بعقودها ولم تفِ بتعهداتها ازاءنا. ولا يخفى على احد بان السكر هو ضمن بورصة عالمية حاله حال النفط والذهب، فحققت هذه الشركات فائدة مالية هائلة من الاموال المرصون والمحجوز ولهم في المصارف وبالتالي فان شركتنا خسرت فرصة لتعزيز قدراتها المالية والتشغيلية ومستوى الربحية، وكان بامكاننا رفد البطاقة التموينية وقتذاك، والان نستطيع ايضاً ان نقدم لها شيئاً لتعزيزها.

المصانع الانتاجية والاهمال

الاهمال هو الذي رافق مسيرة المؤسسات الانتاجية منذ ذلك التاريخ وحتى الان. واصحاب الاختصاص يدركون بان توقف المعدات عن العمل سيؤدي بها الى التآكل وان التشغيل يديمها. قدمنا دراسات كثيرة منها دراسة مشتركة مع وزارة الزراعة، وقد أقرت من قبل وزيري الصناعة والزراعة ، ومن ثم رفعت الى مجلس الوزراء. وعلى اثر هذه الدراسة تقرر دعم صناعة السكر في العراق بمبلغ ٨٣ مليون دولار، وهذا التخصيص لم يكن ملزما لوزارة المالية كون القرار صدر بشكل توصية، ابان الوزارة السابقة التي ترأسها الدكتور الجعفري، وعليه فان وزير المالية اوصى بالرجوع الى تخصيصات موازنة تنمية الاقاليم. ومع ذلك لم نقنط ولم يصبنا اليأس، فراجعنا مجلسي محافظة نينوى وميسان ورئيس مجلس محافظة نينوى (سالم الحاج عيسى) حيث رفض تقديم الدعم لنا. اما محافظ ورئيس مجلس محافظة ميسان فأفادا بان المبالغ المخصصة للمحافظة هي اساساً غير كافية، لانها منحت على اساس الكثافة السكانية لكل محافظة. وتساءل العلاق: اليست الشركة لا تندرج ضمن البنى التحتية؟ الجواب متروك للمحافظة ورئيس مجلس المحافظة لانهما اقدر من الاخرين على تقدير ذلك. تدني اسعار النفط ربما ستحول بيننا وبين الدعم المؤمل، ناهيك عن الازمة المالية العالمية التي طالت اليابان وبعض دول جنوب شرقي اسيا وروسيا.

صناعة استراتيجية

ويوضح العلاق أن صناعة السكر من الصناعات الاستراتيجية التي يجهلها بعض المسؤولين في العراق. نحن بحاجة الى تسليط الضوء على مثل هذه الصناعات ذات الاهمية القصوى، وكذلك على الزراعات الاستراتيجية مثل المحاصيل الحقلية كالقمح والرز وغيرهما التي تمثل القوت اليومي للمواطن، والسكر واحدة منها. ولا يمكن للمواطن ان يستغني عنه. الحكماء في العهد الملكي تحسسوا بشكل دقيق حاجة العراق ولذلك قرروا انشاء ثلاثة مصانع لانتاج السكر في الوقت الذي كان فيه عدد نفوس العراقيين لا يتجاوز سبعة ملايين نسمة، لان التجربة المريرة التي عاشها العالم ابان الحرب العالمية الثانية متمثلة بقصف واحراق البواخر التجارية، وبالتالي حدوث نقص كبير في المواد التموينية. نظام البطاقة التموينية الحالي ليس جديداً على العراقيين، فقد طبق هذا النظام في العراق عام ١٩٤٨ والسكر كان يسمى ضمن هذا النظام بالتموين وعلى وفق الرؤية قررت الحكومة العراقية من العهد الملكي انشاء مصانع عراقية لانتاج السكر تحسباً لأي طاريء عالمي، لا سيما وان جميع الظروف ملائمة لمثل هذه الصناعة كالارض الخصبة والانهار الفياضة والايدي العاملة والقوى الفلاحية. صناعة السكر في جميع دول العالم مدعومة لانها هي زراعة، والزراعة تلقى الدعم المستمر ولأنها تتبع وزارة الصناعة فلا دعم لها (وتلك قسمة ضيزى) . الدولة الان تقدم الدعم للمزارعين سواء بتوفير الاسمدة ام المبيدات ام البذور ام القروض، ويبيعون لها الانتاج بسعر اعلى. الدولة تدفع للفلاح ٣٥٠-٤٠٠ الف دينار للطن الواحد سواء كان بذرا أم سماداً ام مبيدات ومعدات (جرارات وحاصدات) فلماذا تقل يد الدعم على شركة صناعة السكر وهي زراعية أصلاً؟ ويغض الطرف عنها وهي مؤسسة حكومية فيها موظفون وفنيون وخبراء وشغيلة على المستويات كافة؟ . الخطأ يكمن انذاك في سلوك وقرار وزير الصناعة انذاك(طه الجزراوي) الذي كان يريد زيادة اقطاعياته حول مصلحة سكر القصب من وزارة الزراعة الى الصناعة، هذا المشروع افتتحه المرحوم (نافذ جلال حوزي) الذي كان وزيراً للزراعة حينما سمح للاخوة الاكراد في المشاركة بالحكومة عام ١٩٧٠ ، الا ان الجزراوي غير تلك المعادلة الصحيحة في ذلك الوقت. وقبل ان تتحقق رغبة " الجزراوي" كان المعمل يحظى بالدعم. تهيأت فرص لزيارة العديد من دول العالم، ومنها ايران على سبيل المثال، والتي افردت بعد انتهاء حربها مع العراق ٢٠ ٪ من تخصيصاتها الاقتصادية لتطوير زراعة وصناعة السكر. ويوجد فيها الان اكثر من ٣٤ مصنعاً للسكر سواء كان بنجراً ام قصباً، وفي عام ٢٠١٠ سيصلون الى الاكتفاء الذاتي منه، ولديهم القدرة الان على صناعة معدات معامل السكر .

ومثال اخر هو لبنان الذي ليس لديه نفط ويعيش ابناؤه على ما تدره السياحة، التي تتارجح بفعل الارباك السياسي. زرت احد المصانع الخاصة الذي تعود ملكيته لشخص لبناني " شركة اهلية " صاحبها اسمه " رئيف قاسم " فعلمت ان الدولة تشتري البنجر من المزارع وتجهزه له مجاناً، وبدوره يعترف بان البنجر يحوي نسبة سكر عالية. لذا فان الدولة ترفع له الاسعار، وذاك نسبة السكر فيه واطئة فيقللون من المبلغ المدفوع وهكذا. وبالنتيجة هو مستفيد في كلا الحالتين سواءا من السكر الذي ينتجه أم من دعم الحكومة له، عدا المنتجات العرضية من الانتاج مثل العلف الحيواني الذي يصدره الى جميع الدول بسعر ١٠٠ دولار للطن الواحد، وهو يدخل في الكثير من الصناعات الدوائية والكحولية. انهم يدعمون المزارعين الذين يزرعون البنجر لابعادهم عن زراعة المخدرات. لا توجد في العراق رؤى لمفهوم ستراتيجية زراعة قصب السكر حتى هذه اللحظة.

الطاقة الانتاجية للمصنع في الوقت الراهن، اذا توفرت الطاقة الكهربائية تصل الى حدود ٦٠ الف طن سنوياً، ونحن نبتغي من التأهيل ان يكون المصنع قادراً على انتاج الطاقة الكهربائية بغية ان لا تتوقف عن العمل ونتعرض للخسارة. لان العصير السكري، وفي حالة التوقف ستنشط البكتريا وتلتهمه وتحوله من سكر متبلور الى سكر غير متبلور. وكل مصانع السكر في العالم تنتج الكهرباء، وفي معمل الموصل تنتج الكهرباء ولكن المشكلة قائمة في معمل " ميسان " . فتأهيل معمل الموصل لا يحتاج سوى ٧-٨ ملايين دولار، سينتج اذا ما تحقق التأهيل اكثر من ١٠٠ الف طن سنوياً، ويمكن الوصول بالطاقة الانتاجية لكلا المعملين الى ٢٢٠ الف طن سنوياً وهي تمثل بحدود ٢٥ ٪ من احتياجات العراق للسكر. طلبنا من وزارة التجارة دعماً يؤهل معاملنا لنرفد البطاقة التموينية، ومن ثم نعيدها اليهم سكراً الا ان الفكرة لم تلق القبول المطلوب.

تعيش في سأم بعد أن كانت مملكة

بطء ايقاعات الحياة فيها يبعث على السأم، والحبة السوداء تشفي جميع العلل والاوصاب الا السأم. هكذا وجدنا ميسان "عروس دجلة" وسلة غذائها الجميلة. فشارع دجلة ، هو الوحيد بين شوارعها ضاج بالحركة والناس، احياؤها مستكينة، ومواطنوها يتنقلون ببطء شديد وكأنهم استسلموا لقدر محتوم. في الاماسي اسواقها تزدحم بالناس، حتى بناء المجسرات العشر، طالته عدوى الكسل التي لم تسلم منها مشاريع شبكات الصرف الصحي وتثبيت الارصفة واعادة اكساء الشوارع. في يوم غابر من ايام التاريخ كانت ميسان مملكة. ضفاف دجلة لم تعد مأوى للناس ومرتعاً للبهجة والفرح والابداع. لامتنفس لاهلها سوى "كازينو النجماوي" وبضعة ألعاب اطفال بدائية. حتى منطقة "الطيب" التي كانت يوماً ما مزاراً للصيادين والشعراء والفنانين نالت منها عدوى الكسل مثلما سرت عدوى "السل" بين الناس. بعض المواطنين يتفاخرون بان ميسان هي المحجر الوحيد في العالم لمرضى الجذام، فمن اين جاءها الوصب المعدي والخبيث؟ ميسان موطن "سيد محمد وسلمان المنكوب وحسين سعيدة وفرج وهاب) وقبلهم (مسعود عمارتلي وكربكر" وغيرهم من النجوم اللامعة.

وانا اجوب انحاؤك الواسعة، اشعر بالفرح حينما ألمس روح التحدي وهي متأججة في اعماق ابنائك الاصلاء، الذين حدثوني كثيراً وهم يتخذون من شواطئ دجلة الخير ملاذات للهو البرئ، وقضاء اوقات متعتهم وهم يلعبون "الدومينو" ويدخنون "الاراكيل". هكذا تمضي حياة شباب ميسان، اما شاباتها فالعلم عند الله. الشباب العاملون في مكاتب التسجيلات الصوتية، والاغاني التي تنبعث من مكبرات الصوت فيها، منافسة مكبرات الصوت التي تنطلق منها "الادعية" وبواعث الحزن، والتحدي

بارز جداً في انتشار مكاتب التقانات الحديثة "الموبايل والحاسوب والانترنيت". واسلوب عرض بدلات الاعراس ، وازياء النساء. احد اصحاب محال تأجير بدلات الاعراس أصر على ان نصوره بين "ماليكاناته الصناعية" وهن يرتدين بدلات عرسهن ، وكذا هو الحال في عرض ازياء العرسان. احد التربويين أسر لي بان الجيل المقبل سيكون جيلا مخربا. في سوق ممتاز هناك نزوع نحو التطور والارتقاء، هو سوق زاخر بالبضائع الالكترونية الحديثة. وفي شارع دجلة رغبة جامحة لارتشاف فنجان من (اللهجة العامية) وليس القهوة. "وفي عواشة" طموح كبير لأن تكون "ميسان" عروساً وسط جنوب العراق. "ابو تحسين" فنان تشكيلي وخطاط يصل النهار بالليل لترسم فرشاته كل ماهو جميل في "ميسان"، دكانه المتواضع والصغير "مرآب" للوحاته الرائعة ، والممر الضيق المقابل له..معرض تشكيلي دائم يقصده طلبة المدارس لرسم مواد الاحياء والكيمياء والفيزياء. وكذا هم تلاميذ المدارس الابتدائية ، هم ربما يؤطرون مستقبلهم ، غير ان بعض الزمر الخاوية تحاول تهشيم هذه الاطر، هكذا اخبرني الفنان التشكيلي "ابو عطاء" وكنا نجلس بالقرب منه لما قدمت امرأة وبصحبتها فتاة شابة وطلبت منه رسم لوحة لاحد الاولياء، الا انه اعتذر منها بأدب قائلاً: انا لا اجيد رسم الشخوص، بل ابرع في رسم المناظر الطبيعية والجمال.

الانسان والمكان وبيئة ميسان .. معامل الطابوق انموذجا

في الضاحية الجنوبية لمركز محافظة ميسان اكثر من عشرين معملاً للطابوق. توزعت بشكل عشوائي على مساحات واسعة، يعمل فيها المئات من المواطنين الذين اشادوا لهم بيوتاً بالقرب منها بالافادة من مخلفاتها، بيوتاً لاتصلح حتى زرائب للمواشي. ولايحتاج الناظر اليها الى ادلة بحثية لتأشير مستوى بؤسها وشقائها وعذاباتها ومعاناتهاومستوياتفقرها وعوزها. فهي وبأبسط معاني الوصف تفتقر الى الماء الصالح للشرب، وهي ايضاً خارج حدود الاهتمام الصحي والتعليمي، وبعيدة عن مناخات العيش الادمي البسيط.

معامل طابوق محافظة ميسان انموذج صارخ لمعاناة الانسان العراقي التي بدأت منذ قرون سحيقة ولم تنته بعد. العاملون فيها يتساءلون ، متى تنتهي معاناتنا؟

ونحن في طريق عودتنا من الشركة العامة لصناعة السكر عرجنا على احد هذه المعامل والتقينا اولاً المواطن كريم حسن ويعمل وكيلا لصاحب المعمل، وكان حديثه عن واقع المعامل تلك. فقال: جهونا تنصب على استبدال الطريقة القديمة في شي الطابوق باحلال الحراقات، ولم نجن اية فائدة منها حتى اليوم. اسعار الطابوق تخضع للطلب ، فكلما ازداد الطلب ارتفع معه سعر دبل الطابوق وبالعكس.. وعن مستوى الانتاج قال: سابقاً كان انتاجنا بحدود اربعين الف طابوقة يومياً ، وبعد ان استخدمنا الحراقات انخفض انتاجنا الى (٢٤) الف طابوقة يومياً بسبب احتفاظ الفرن بسخونته.

الحراقات لاتشبه "التنكة" ، "التنكة تبرد بسرعة" ويوضح معنى "التنكة" قائلاً: هي الوعاء الذي يحوي الوقود ونسكبه من اعلى الفرن، اما الحراقات فهي أرضية تشوي الطابوق من الفتحات السفلية للفرن عبر شبكة من الانابيب الارضية التي تجهز الحراقات بالوقود.

وعن اسعار الطابوق قال ان سعر الدبل بـ (٦٠٠) الف دينار و(٣٠) الف لتر النفط الاسود بـ (٤) ملايين دينار. لان النفط سعره مرتفع لأننا ندفع للصهريج ذي حمولة (٣٠) الف لتر، اربعة ملايين دينار يكفينا لمدة ثلاثة ايام. وعلى هذا فاننا نحتاج

في الاسبوع الواحد، الى صهريجين ونصف أي عشرة ملايين دينار، وهذا يعني اننا ندفع (٤٠) مليون دينار شهرياً ثمناً للنفط الاسود فقط. ناهيك عن وقود المولدات "الكاز" واجور مشغلي وحرفيي الحراقات. سعر الدبل احياناً يعجز عن سداد تلك المصروفات. وعن عدد العمال العاملين قال: في مرحلة التفريغ نحتاج الى (٣٠) عاملاً وفي التحميل قد يصل عدد العمال في بعض الاحيان الى (٣٠) عاملاً ، وفي المجمل يكون المجموع (٧٠) عاملاً يومياً.

وهل تتلقون دعماً من الدولة؟ قال: ابداً لم نتلق أي دعم مادي او معنوي "كلشي ماكو" ولا حتى تسهيلات. وعن اجور العمال اوضح قائلاً: (٦٠) ألف دينار لعمال التفريغ والذين يبلغ عددهم عشرة عمال، أي لكل واحد منهم ستة الاف دينار لكل سيارة. وبما ان انتاجنا يكفي لست سيارات فأن حصيلة كل عامل تساوي (٣٦) الف دينار يومياً، وفي التحميل يتقاضون اسبوعياً مليوني دينار، وتبلغ اسبوعية "الشواعيل" مليون ومئتي الف دينار، واسبوعية "الكراد" جامع الكردة وهي من مخلفات المعمل ، تبلغ (١٥٠) الف دينار، واسبوعية "الراشوك" ، واسبوعية "الفيتر" القائمة على ادامة وتصليح المكائن (٢٠٠) الف دينار.

تأسس هذا المعمل عام ١٩٧٦، ولكننا نجري عليه اعمال الصيانة والتجديد سنوياً. وفي هذا العام" سوينه اله تطواله" بسبب استعمال الحراقات ، وتزداد طبيعة عملنا سوءاً في فصل الشتاء لان جميع الطرق المؤدية الى المعمل ترابية. وفي فصل الصيف تزداد معاناتنا بفعل الغبار والاتربة المتصاعدة. النظام الجديد في الاشغال يعتمد بالاساس على الطاقة الكهربائية وضغط الوقود بالهواء.

ثم التقينا معاون الفيتر ومشغل مضخات النفط الاسود "باسم عيدان ياسين" الذي افادنا قائلاً: لدينا "تاروسة كهربائية" تعمل على نظامي "الوطنية والمولدة"، مشيراً الى ان دوامه متناوبا بين يوم وآخر، وراتبي (١٢٥) الف دينار في كل اسبوع.. "الشاعول" احمد محسن وهو من اهالي محافظة الديوانية، افاد بأن راتبه الاسبوعي يبلغ (٢٥٠) الف دينار. مهنة "الشاعول" شاقة ومرهقة وتتطلب بذل جهود كثيرة. وقد يصاحبها حوادث خطرة قد تودي بحياته في بعض الاحيان.

معامل طابوق ميسان ما تزال تعمل بطرق بدائية جداً غادرها العالم منذ قرون، نتاجاتها ومخلفاتها من اخطر الملوثات البيئية والصحية التي تشرع الابواب للاوبئة والامراض القاتلة. صناعة الطابوق في العالم المتقدم بلا ملوثات وتعتمد المكننة والحركة الذاتية المسيطر عليها الكترونيا والتي تحظى بمعالجات بيئية حقيقية.